

الأستاذة: فريال تواتي

المادة: السرد السير ذاتي.

الفئة المستهدفة: سنة ثانية ماستر (تخصص أدب حديث ومعاصر).

التطبيق2: سيرة ابن حزم في طوق الحمامة.

أهداف الدرس: أن يتعرف الطالب على واحدة من أهم السير القديمة.

1-التعريف بابن حزم:

هو " علي بن سعيد بن حزم يكنى بأبي محمد ويلقب بالأندلسي والقرطبي،... ولد عام 384هـ-994م بقرطبة،... نشأ ابن حزم نشأة مترفة في أسرة غنية وجبهة ذات مركز سياسي مرموق،... تهيأت له أجواء العلم واكتسابه فانبهرى يتفقه في الدين والعلم بالقرآن الكريم ورواية الشعر ومعرفة الأخبار والأنساب،... توفي سنة 456هـ-1064م¹.

2-مؤلفاته:

"كان ابن حزم من أنشط المفكرين إنتاجا فقد كتب في اللغة والأدب والفقه وأصول الفقه وأصول الدين"²، ولعل من أشهر مؤلفاته وآثاره نذكر:

"كتاب الجامع في صحيح الحديث، كتاب مسائل أصول الفقه، رسالة في مراتب العلوم، كتاب الأحكام في أصول الأحكام، طوق الحمامة في الألفه والآلاف"³، وغيرها.

3-طوق الحمامة:

أ-دواعي التأليف:

ذكر ابن حزم أن السبب الذي دفعه إلى تأليف كتابه طوق الحمامة إنما كان لتحقيق "رغبة صديقه الذي طلب منه أن يكتب له رسالة تعنى في الحب، وأسبابه حيث أرادها رسالة تصف حقيقة الحب دون زيادة أو نقصان، إلا أن هذه الرغبة ما لبثت أن تحولت من اقتراح صديق إلى مطلب حقيقي يتوافق مع احساس ابن حزم بالراحة في استرجاع الماضي، والعودة إليه، بالإضافة إلى شعوره بأنه يقدم في كتابه هذا رسدا لواقع الحياة الأندلسية آنذاك، وطبيعة العلاقات العاطفية والاجتماعية فيها"⁴.

ب-تقسم الكتاب:

قسم ابن حزم كتابه "طوق الحمامة" إلى أبواب، مقدما في ذلك لكل باب عنوان خاص به وفق الشكل التالي:

باب المخالفة

"باب الكلام عن ماهية الحب

باب العاذل

باب علامات الحب

باب المساعد من الأخوان

باب من أحب في النوم

باب الرقيب

باب من أحب من نظرة واحدة

باب الواشي

باب من لا يحب إلا مع المطاولة

باب الوصل

باب من أحب صفة لم يستحسن بعدها غيرها

باب الهجر

باب التعريض بالقول

باب الوفاء

باب الإشارة بالعين

باب الغدر

باب المراسلة

باب البين

باب السفير

باب القنوع

باب طي السر

باب الضني

باب الإذاعة

باب السلو

باب من أسباب الكشف

باب الموت

باب الطاعة

باب فضل التعفف"⁵.

باب قبح المعاصي

السيرة في طوق الحمامة:

إن طوق الحمامة يعد كتاب في الحب وفي السيرة الذاتية، يقترب من الجانب العاطفي من حياة ابن حزم، والحياة العاطفية لعدد من معاصريه ورفاقه، فقد "حاول ابن حزم أن يترجم لنفسه في كتابه، فسجل خلجاتها كما ضمنه تجاربه التي عاشها،... ولم يقتصر على هذا وحده بل وصف لنا ما أصابه من نكبات، وحل به من نوازل، وما أصاب أهله أيضا،... وهكذا ملأ ابن حزم كتابه بالعديد من تجاربه الحية.. فكان دائم الحضور في كل صفحة من صفحات كتابه"⁶.

إن هذه الملاحظات دفعت الكثير من النقاد إلى "التفكير في الهوية السيرية أوالأتوبيوغرافية للطوق، وقد يكون من الصعب اعتبار نص (الطوق) سيرة ذاتية بالمعنى الاصطلاحي الدقيق أو بصورة نصوص السيرة المتداولة، فإذا احتكم الباحث إلى التعريف الشهير لفليب لوجون"⁷ للسيرة الذاتية بأنها: "حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة"⁸، فإن "عدم تخصيص النص بالحياة الشخصية لابن حزم يكاد يخرج من هذا الحد"⁹؛ أي أنه في طوق الحمامة لم يركز على حياته الشخصية وحدها فقط بل أدرج أيضا تجارب أصدقائه في هذا النص، ما جعل الكثيرين يخرجون نصه (طوق الحمامة) من دائرة السيرة الذاتية.

غير أنه "إذا أخذنا عبارات ابن حزم التي يكررها (عني أخبرك..وأخبر عني.. وإسناد الفعل إلى نفسه كمنجز للخطاب) فإننا نقع على ما يسميه لوجون طرق التطابق بين (المؤلف، السارد، والشخصية)، وهو ما يعتبره ميثاق السيرة الذاتية"¹⁰، وأحد أهم العناصر -تطابق المؤلف والسارد والشخصية- التي تميز السيرة الذاتية عن غيرها من الأنواع الأدبية الأخرى.

من خلال ما سبق نستنتج بأن تراثنا العربي القديم يعج بالكثير من السير التي تبرز أهميتها من خلال محتواها المضموني، ولعل من أبرز هذه السير نجد سيرة ابن حزم في كتابه طوق الحمامة التي تناول فيها ابن حزم حياته وحياة أصدقائه، من خلال تركيزه فيها على الجانب العاطفي والاجتماعي في البيئة الأندلسية.

الهوامش:

¹-نادية هناوي سعدون، رائعة ابن حزم الأندلسي (طوق الحمامة في الألفة والآلاف) دراسة نقدية، 2018/2/7، <https://www.alnaked-aliraqi.net/article/50725.php>.

²-المرجع نفسه.

³-المرجع نفسه.

⁴-علا عبيات، ابن حزم طوق الحمامة، 11 نوفمبر 2019،

https://mawdoo3.com/الحمامة_طوق_حزم_ابن

⁵-علي ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة في الألفة والآلاف، مؤسسة هنداوي، مصر، ط1: 2016، ص: 5-6.

⁶-عباس يحيى، استراتيجية ابن حزم في (طوق الحمامة) مقارنة نصية، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد الأول، يونيو 2012، ص: 23.

⁷-المرجع نفسه، ص : 24.

⁸-فيليب لوجون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، تر: عمر حلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994، ص: 22.

⁹-عباس يحيى، استراتيجية ابن حزم في (طوق الحمامة) مقارنة نصية، ص: 24.

¹⁰-المرجع نفسه، ص : 24.